المعارضة الكردية المسلحة والنظام في إيران.. أبعاد التصعيد ودوافعه

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

المعارضة الكردية المسلحة والنظام في إيران.. أبعاد التصعيد ودوافعه

استهدفت عناصر تابعة لحزب الحياة الحرة الكردستاني المعارض في 20 يوليو 2018 قوّات ومستودعًا للذخيرة، تابعين للحرس الثوري الإيراني في منطقة كردستان إيران على الحدود الإيرانية-العراقية بمنطقة مريوان الحدودية مع كردستان العراق، وقد أسفر التفجير عن مصرع 11 عنصرًا وإصابة 8 عناصر آخرين.

وقد جاء الهجوم في سياق تصاعد وتيرة المعارضة المسلحة للنظام الإيراني في هذا الإقليم منذ مطلع عام 2018، إذ سبق وأعلن حزب الحياة الحرة في 10 يونيو 2018، الأحد، مقتل وإصابة 27 من عناصر الحرس الثوري الإيراني في مواجهات وقعت قرب منطقة شنو الواقعة قرب الحدود مع إقليم كردستان، وهو الهجوم الذي أسفر عن مقتل تسعة من أفراد الحرس الثوري الإيراني وإصابة 18 آخرين بجروح. كما سبق الإعلان عن مقتل ثلاثة عناصر من الحرس الثوري الإيراني في هجوم آخر وقع بمدينة بيرانشهر في محافظة غرب أذربيجان شمال غرب البلاد في 3 يناير 2018، ويوضح الجدول رقم (1) بعض من العمليات العسكرية والاشتباكات التي جرت في المحافظات التي يقطنها الأكراد وتستهدف فيها الفصائل المسلحة مقرات وعناصر الحرس الثوري وقوّات الأمن الداخلي.

جدول (1) بعض العمليات العسكرية للفصائل العسكرية الكردية المناهضة للحكومة الإيرانية(2013-2018)

التاريخ	العناصر المستهدفة	خسائر النظام الإيراني	الجهة المسؤولة
20 يوليو 2018	هجوم على مستودع ذخيرة وموقع لقوّات من الحرس الثوري والباسيج، وجاءت العملية «ثأرًا لدماء 4 كوادر من الحزب اغتالتهم المخابرات الإيرانية داخل إقليم كردستان العراق مؤخرًا، من بينهم إقبال مرادي، الذي اغتيل قبل 3 أيام في بلدة بنجوين بمحافظة السليمانية».	11 قتيلًا، و8 مصابين.	حزب الحياة الحرة الكردستاني.

10 يونيو 2018	مواجهات مسلحة مع عناصر الحرس الثوري.	9 قتلى و18 مصابًا.	حزب الحياة الحرة.
5 يونيو 2018	اشتباكات مع عناصر مسلحة وقوّات الحرس الثوري في برج مراقبة «كاني سيو» الحدودي، التابع لكتيبة حرس الحدود في منطقة سردشت شمال غربي إيران.	قتيلان من قوّات الحرس الثوري.	حزب الحياة الحرة.
3 يناير 2018	هجوم على مقر «حمزة سيد الشهداء» العسكري التابع للقوّات البرية للحرس الثوري الإيراني في مدينة بيرانشهر في محافظة غرب أذربيجان شمال غربي البلاد.	3 قتلى.	اتهام حزب العمال الكردستاني.
3 نوفمبر 2017	مواجهات مسلحة بين فصائل مسلحة كردية وقوّات الحرس الثوري في منطقة جالدران الحدودية بمحافظة كردستان إيران.	8 قتلى من حرس الحدود.	فصائل كردية مسلحة.
14 أكتوبر 2016	هجمات استهدفت مواقع الحرس الثوري وقوّات الباسيج في مدن سردشت ومريوان، ردًّا على مقتل 12 مقاتلًا من الوحدات على يد الحرس الثوري في مدينة كرمانشاه.	26 قتيلًا من عناصر الحرس الثوري الإيراني والباسيج.	وحدات شرق كردستان.
1 أكتوبر 2016	هجوم من مجموعة مسلحة على عناصر من الحرس الثوري في مدينة كاميساران.	3 قتلى من الحرس الثوري من بين القتلى مسؤول بقوّات التعبة (الباسيج) التابعة للحرس الثوري.	الحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران
28 يونيو 2016	مواجهات مسلحة بين عناصر كردية مسلحة وقوّات الحرس الثوري في منطقة سروآباد قرب الحدود مع العراق.	3 قتلى من قوّات الحرس الثوري.	فصائل كردية مسلحة.
17 يونيو 2016	مواجهات بين فصائل تابعة للمجلس العسكري للحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران.	8 قتلى و14 مصابًا	الحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران.
7 مايو 2016	مواجهات مسلحة قرب الحدود مع شمال العراق في منطقة سروآباد.	3 قتلى من قوّات الحرس الثوري.	فصائل كردية مسلحة.

12 سبتمبر 2015	معركة دارت بين وحدات شرق كردستان وقوّات الحرس الثوري في منطقة «جوانرو»- التابعة لولاية «داهالو» الكردية.	10 قتلى من الحرس بينهم ضابط كبير يدعى سيد حميد موسوي.	وحدات شرق كردستان.
12 سبتمبر 2015	معركة بين وحدات شرق كردستان وقوّات الحرس الثوري في قضاء «قطور» التابع لأورمية.	3 قتلى من عناصر الحرس ومصاب واحد.	وحدات شرق كردستان.
8 سبتمبر 2015	اشتباكات بين قوّات الحرس الثوري وحزب الحياة الحر، بمدينة خوي، التابعة لمحافظة أذربيجان الغربية (شمال غرب إيران).	مقتل جنديين من الحرس الثوري وجرح اثنين آخرين منهم.	عناصر تنظيم «بيجاك» الكردي المسلح.
12 أغسطس 2015	معارك بين عناصر كردية مسلحة وقوّات الباسيج في منطقة كمياران على بعد نحو 70 كلم من الحدود مع إقليم كردستان في شمال العراق.	5 قتلى.	لم تعلن جهة مسؤوليتها واتهمت إيران عناصر كردية متمردة.
10 يونيو 2015	كمين نصبته مجموعة كردية مسلحة، لقوّات الحرس الثوري، بمنطقة «شاهو» التابعة لمدينة كامياران، بمحافظة كردستان غرب إيران.	6 قتلى من عناصر من الحرس الثوري.	فصائل كردية مسلحة.
26 أكتوبر 2014	مواجهات مسلحة بين فصائل مسلحة كردية وقوّات الحرس الثوري في منطقة جالدران الحدودية بمحافظة كردستان إيران.	4 قتلى في صفوف الحرس.	فصائل كردية مسلحة.
10 أكتوبر 2013	اشتباك بين فصائل مسلحة وقوّات الحرس الثوري في منطقة «ساوان»، التابعة لمدينة «بانة»، في محافظة كردستان.	6 من عناصر الحرس الثوري الإيراني.	حزب الحياة الحرة.
أبريل 2012	هجوم شنه عناصر من حزب الحياة الحرة الكردستاني على قوّات من الحرس الثوري في منطقة بانه.	4 عناصر من الحرس الثوري.	حزب الحياة الحرة.

ويلاحظ من خلال استعراض الجدول تصاعد عمليات الفصائل الكردية المسلحة بداية من منتصف عام 2015، ويلاحظ كذلك تركز العمليات في مناطق وجود الأكراد وتحديدًا في المحافظات الخمس المتاخمة للحدود مع كردستان العراق، فضلًا عن استخدام فصائل المعارضة الكردية لأسلوب حرب العصابات من خلال الهجوم الخاطف، أو العمليات السريعة، وهو ما أرهق القوّات الإيرانية وسبّب لها خسائر بشرية كبيرة ومتواصلة، وتمتع العناصر المسلحة بخبرات قتالية عالية ووجود تجهيزات وتسليح أكثر تطوّرًا عن مراحل نضالية سابقة.

وفي هذا السياق يمكن القول إنه وعلى الرغم من أن الحرس الثوري الإيراني كان قد أعلن في سبتمبر عام 2011 عن تطهير المنطقة الحدودية شمال غرب إيران من المجموعات الكردية المسلحة، وذلك بعدما قتل 180 مسلحًا من حزب الحياة الحرة الكردستاني، وهو الأمر الذي كان قد أدى إلى تراجع حدة الاشتباكات والمواجهات في هذه المناطق إلا نادرًا، فإنّ عودة التصعيد ارتبطت بالتطوّرات التي شهدتها المنطقة وتحديدًا التحولات التي شهدتها القضية الكردية في أعقاب اندلاع الحرب الأهلية في سوريا، والدور البارز الذي لعبه الأكراد في توازنات الصراع على الساحة الإقليمية، والدعم الأمريكي الذي قدمته الولايات المتحدة للأكراد، سواء الدعم المادي أو الدعم بالسلاح، وذلك في إطار مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في العراق وسوريا. ولعل قرار حزب العمال الكردستاني الإيراني في مايو 2016 باستئناف أنشطته المسلحة ضد الحكومة الإيرانية قد جاء انعكاسًا لتلك التطوّرات واستفادة من حالة السيولة الراهنة ووجود دعم إقليمي ودولي للحراك الكردي من أجل تدشين مشروع الانفصال، وهو القرار الذي أسهم بدوره في تزايد وتيرة العمليات العسكرية التي استهدفت قوّات الحرس الثوري، لا سيّما أن هذا التطوّر جاء متزامنًا مع إحياء القضية الكردية وتنامي الشعور القومي الكردي وتجدد الحلم التاريخي بقيام الدولة الكردية على أجزاء من دول إيران والعراق وتركيا وسوريا، لا سيّما بعد سعي إقليم كردستان العراق لإعلان انفصاله عن العراق بخطوات جدية.

ولا شك أن حزب العمال الكردستاني الإيراني، المظلة العسكرية لفصائل العمل المسلح في دول إيران وتركيا والعراق وسوريا، قد نجح خلال سنوات تعليق العمل المسلح في بناء شبكات سرية في المناطق الكردية الإيرانية، كما أنشأ قوة أمنية سرّية لتعقب الجواسيس، وهو ما ساعده في تطوير نشاطاته وتصعيد عملياته العسكرية ضد قوّات النظام.

كما أن الحزب الذي يتبنى المقاومة لتحقيق الحلم الكردي قد تبنى الحزب لسياسة تعتمد على تدريب مقاتليه وضم عناصر أكثر حيوية وإعادة إرسالهم إلى داخل إيران ليختلطوا بالسكان، بعد إعادة تدريبهم وتجهيزهم بأسلحة خفيفة ومتوسطة. وقد قال الأمين العام للحزب مصطفى هجري في وقت سابق، معلقًا على هذه العودة المكثفة: «إنّ على إيران إما أن تسمح للحزب بالعمل السلمي المدني وإما أن تهاجمهم، وعندها لن يتوانى مقاتلو الحزب في الرد والدفاع عن شعبهم».

كما لا يمكن استبعاد تأثير الممارسات الإيرانية القمعية بحق الأقلية الكردية في تأجيج الصراع وإعادة التفكير في العودة للنضال المسلح من جانب الفصائل الكردية، لا سيّما بعد مسلسل الاغتيالات التي نفذتها إيران بحق قيادات الحراك الكردي في إقليم كردستان العراق، علاوة على الملاحقات وحملات الإعدامات غير القانونية التي طالت الرموز والمواطنين الأكراد في داخل إيران.

وإجمالًا، يمكن القول إن الحركة المسلحة الكردية داخل إيران قد استفادت من الامتداد الواسع لحركة النضال الكردي ككل في عموم المنطقة في العراق وتركيا وسوريا، ومن الخبرة النضالية التاريخية في العمل المسلح من أجل الاستقلال، ومن الخبرة التاريخية في مواجهة حكومات المنطقة وقوّاتها المسلحة، وقد عززت حالة الصراع الإقليمي وتكثيف العمل المسلح وانتشار السلاح وعدم قدرة الدول على ضبط حدودها وبسط سيادتها على إقليمها في توفير أجواء وأدوات وحرية حركة أمام الحراك الكردي المسلح داخل إيران وعبر الحدود المتاخمة للمناطق الكردية في شمال غرب إيران.

كما توفر الجغرافيا البشرية بيئة مناسبة لحركة هذه الفصائل المسلحة عبر الحدود، مستفيدة من دعم الفصائل الكردية في إقليم كردستان العراق وعلى الحدود التركية-الإيرانية، فضلًا عن التعاطف الشعبي في المناطق التي يقطنها الأكراد على حدود العراق وإيران وتركيا. لهذا تركزت غالبية العمليات التي قامت بها العناصر المسلحة الكردية بالقرب من الحدود مع إقليم كردستان العراق وقليل منها بالقرب من الحدود من تركيا، حيث أماكن انتشار حزب العمال الكردستاني.

لا شك أن القضية الكردية تضرب بجذورها في التاريخ الإيراني الحديث، إذ إنّ العداء ظل السمة المهيمنة على عَلاقة الدولة الإيرانية بالأكراد، لا سيّما بعد أن أفشلت الحكومات الإيرانية محاولتين لقيام كيان كردي في تلك المناطق، وتحديدًا مشروع «جمهورية الحرية» التي أسسها الزعيم الكردي «سمكو» في عشرينيات القرن

العشرين، ومشروع «جمهورية مهاباد» الكردية التي تأسست في عام 1946 على يد القاضي محمد، علاوة على تاريخ ممتدّ من الممارسات الإيرانية غير الرشيدة بحق الأكراد.

ورغم أن الشعب الكردي كان جزءًا من الثورة الإيرانية عام 1979، لكن آيديولوجيا النظام الجديد التي تبنّت المذهب الشيعي كدين للدولة ولاية الفقيه كمرجعية للحكم، جعلت من الأكراد وأغلبيتهم من السنّة في خانة التهميش والإقصاء، فبدأت في ظل النظام الجديد معاناة جديدة للأكراد وبقية الأقليات لم تختلف عن معاناته في ظل نظام الشاه القديم، لكن في صورة أشد قسوة كانت أبرز ملامحها خلال عقد الثمانينيات بعدما مهّدت فتوى الخميني بتكفير الأكراد لرفضهم الدستور الطريق أمام قصف مناطقهم بالطائرات، وقد تركت تلك المرحلة جراحًا لم تندمل لدى عموم الأكراد في إيران وفي المنطقة.

ولم تتجه سياسات دولة الفقهاء في مراحل لاحقة للتعامل مع القضية الكردية من خلال الحد الأدنى الذي وفّره الدستور لبعض حقوقهم المشروعة، إذ حرمت مناطقهم من التنمية على غناها بالموارد الطبيعية، وحرم الأكراد من أي مناصب سواء في السلطات الرئيسية أو الجهاز الإداري أو في الجامعات وغيرها من أجهزة الدولة، وقد كانت تلك الأوضاع مقدمة لإحياء النشاط المسلح ودعاوى الانفصال ضد الحكومة الإيرانية.

ورغم سياسات محمد خاتمي الإصلاحية بين عامي 1997 وعام 2005 والتي أسهمت بدورها في تهدئة الأوضاع في الأقاليم الكردية، لكن جاءت سياسات أحمدي نجاد لتعيد الأوضاع إلى سابق عهدها، لا سيّما على ضوء تنامي الشعور القومي لأكراد إيران على خلفية تطوّرات أوضاع الأكراد في العراق بعد الاحتلال الأمريكي وحصول كردستان العراق على الحكم الذاتي، إذ استشعر النظام الإيراني خطورة تلك التطوّرات على وضع الأكراد في الداخل، لا سيّما في ظل أجندة الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن في تلك المرحلة.

وفي عهد روحاني وعلى الرغم من زيارته للمنطقة في يونيو 2016 واعترافه الضمني بالتهميش الذي يتعرض له الأكراد، ووعوده بالاعتراف بحقوق الأكراد الثقافية، وتعليم لغتهم الأم، وتحسين الأوضاع المعيشية في مناطقهم التي تُعَدّ وفق الإحصائيات الإيرانية من أكثر المناطق حرمانًا، فإنّ جديدًا لم يحدث، بل أمعن النظام في قمعه وعزز وجوده العسكري في الإقليم، وقاد حملة تصفية واغتيالات بحق القيادات الكردية

في الداخل والخارج، وهو ما لعب دورًا في عودة الصراع إلى أوجه.
لكن في النهاية يبقى التساؤل: هل سيتحول الإقليم إلى بؤرة ساخنة تؤرق النظام الإيراني الذي أصبح يعاني من أزمات مماثلة في أقاليم الأقليات الأخرى على أطرافه الشرقية وتخومها حيث أقليات أخرى تعاني كما يعاني الأكراد من بؤس الدولة في إيران وبؤس منطقها في التعامل مع ما تدعي أنهم جزء من وطن يدعى إيران؟!
لا شك أن النظام ما زال يصرّ على القمع كآلية وحيدة للتعامل مع قضايا الأقليات، والمشكل الأساسي أن آيديولوجيته لا تسمح بانفراجه مع هذا المكوّن، ومِن ثَمّ يبدو من الواضح أن معركة كرّ وفرّ ستظل قائمة بين الفصائل الكردية التي تبنّت العنف وسيلة لتحقيق مطالبها، والنظام الإيراني الذي يبدو أنه لا يملك إلا العداء للجميع، شعبه في الداخل، ومحيطه في الإقليم والعالم.

RASANAH

المعهد الدولي للدراسات الإيرانية

International Institute for Iranian Studies